المحاضرة 09: فن الرسائل في العصر الحديث

1-مفهومها:

الرسالة فن أدبي قديم، مازال له دوره وأهميته وهي مُكاتبة تصل بين الإنسان وغيره في شتى الأغراض التي تتطلبها الحياة. وقد تكون هذه الرسائل خاصة بين الأفراد، وتسمى شخصية (إخوانية)، وقد تكون عامة مصطلحية (رسمية). تعدّ كتابة الرسائل من أهمّ أنواع الاتصال الكتابي وأكثرها شيوعا.

2-أنواعها:

1- الرسائل الإخوانية: هي تلك الرسائل التي يتبادلها الأفراد فيما بينهم في المناسبات المختلفة للتهنئة، أو التعزية أو الشكر، أو بسبب الشوق أو الاعتذار. كما أنّها بمثابة صدى لمشاعر أصحابها وعواطفهم، تبدي آراءهم وعاداتهم وأخلاقهم وأحوال الأمة التي يعيشون فيها.

ولهذا النوع من الرسائل الإخوانية مميزات:

- ليس للرسالة شكل معيّن معتمد، بحيث لا تخضع لقواعد محدّدة في ترتيبها وتنسيقها، بل يختلف شكلها باختلاف درجة القرابة والألفة والمحبة بين الكاتب/ المرسل والقارئ/المتلقي
- متعدّدة المواضيع، بحيث يمكن ان تتناول أكثر من موضوع واحد وكلّها شخصية، الهدف منها تقوية العلاقة وروابط الاخوة أو الصداقة.
- تفتتح بتحيات محبّة، وتشمل مشاعر عاطفية كونها تُتبادل بين أفراد العائلة والأقارب والأصدقاء.
- تحتمل بعض من اسوب التكلّف في الأسوب إذا كانت الرسالة بين شخصين ليسا على علاقة ومعرفة قويّة.
- تكثر فيها عبارات المحبة والمودّة والعاطفة التي تأتي بأسلوب بسيط وعادي وواضح، وتخلو من المصطلحات الرسميّة.

*عناصر الرسالة الإخوانية:

-البدء بالبسملة، والتحية للمرسل إليه (مصدره بمكانته وعلاقته بالمرسل منه، ثمّ السلام، ولفظة (وبعد)، مع وجوب بدء الفقرة الموالية بالفاء.

- السؤال حول حال وصحّة المرسل إليه، والدعاء له بالتوفيق في مستقبله.

- عرض جوهر الرسالة في فقرة، وفي جمل تامة، يضفي الكاتب من أحاسيسه ومشاعره على أحاديثه

– الخاتمة: وتلخص في ايجاز تام ما سبق عرضه من فكر أو مطالب أو تساؤلات، وتختتم بالسلام والتوقيع والتاريخ.

2– الرسائل الرسمية/ الإدارية: تختلف باختلاف نوعها، تسمى الديوانية قديما لأنّ الوزارات حاليا كانت تسمى بنظام الحكومة قديما بالديوان (ديوان التربية، ديوان التعليم العالي...). هذه الرسائل الديوانية هي الخطابات الإدارية داخل المؤسسات، فحين نكتب خطاب إلى مدير جامعة، أو شركة فهو يدخل ضمنها، كما تطلق على الرسائل المتبادلة بين الدوائر الحكومية أو بين المسؤولين، ورؤساء الدول والوزراء..

إنّ الاهتمام بهذا النوع من الرسائل يكون متميّزا من ناحية تصميمها، وخلوّها من الأخطاء الإملائية والمطبعية، واختيار الورق المناسب والطباعة الصحيحة، لأنّ كل هذا يعكس اهتمام المرسل بما يكتب، ويخلق اهتماما مماثلا لدى المرسل إليه.

*الأجزاء الرئيسية للرسالة الإدارية/ الرسمية:

–البسملة/ التاريخ/ المرسل إليه ولقبه وعنوانه/ التحية الافتتاحية/ موضوع الرسالة (المقدمة– صلب الرسالة– الخاتمة)/ تحية الختام/ المرفقات/ كتابة الاسم والتوقيع/ العنوان (مقدم الرسالة).

3– الرسائل الأدبية: هي التي يكتبها الأدباء انتصارا لرأي، أو دفاعا عن قضية أو رغبة في نصح وإرشاد، أو ترفيها عن النفس. تحتاج إلى أسلوب أدبيّ رفيع يعتمد وسائل وأدوات الأسلوب الأدبيّ من: صور وتشبيهات وتعبيرات مجازية...يدخل فيها الذوق الأدبيّ الرفيع، والتراث العربي والإسلامي حافل بعدد كبير من الأسماء الخالدة في هذا الشأن، ومن أشهرهم: الجاحظ– أبو العلاء المعمري– الثعالبي– ابن زيدون– المنفلوطي– الرافعي/ مي زياد.

ونظرا لأهمية الرسائل الأدبية، فقد عُني التراث العربي بالتأليف في كتابه الرسائل الأدبية، فوجدنا كتب جدّ مهمّة وصلت إلينا في فن الكتابة الأدبيّة:

كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير.

خصائص الرسالة الفنية:

تكتسب خصائصها من فنّها الأدبي الذي هو النثر، غير أنّها تنفرد بخصائص أخرى تفرضها طبيعتها، باعتبارها جنسا أدبيّا يستند إلى مكونات وسمات تميّزه عن غيره من الأجناس النثرية.

تتميّز الرسالة الفنيّة من بين ألوان النثر الأخرى بالمرونة الفنيّة، والأسلوبية، ذلك أنّ تلك المرونة تسوغ للرسالة الفنّية قبول خصائص الشعر من: خيال تصوير وتعبير عاطفي، وعناية بالزخارف اللفظية والمعنوية، لكن ليس ضروريا أن تستمد خصائصها من الشعر فتصبح شعرا منثورا.

3-نماذج من الرسائل الأدبيّة:

رسائل مي زيادة: من أهم الرّسائل التي كتبتها هذه الأديبة المتألقة، رسائل متنوّعة المضامين والموضوعات مثل: الرسائل العائلية والإخوانية والوصفية والثقافية والعاطفية والصّحفية...) وهذا نموذج لها بعنوان "احرصي على قلبك":

أرخى الشفق سدوله على الأرض بطيئا

ولُفِقتْ حواشي السّحب بخيوط الذّهب والفضّة

وتلاشى ما كان يبدو كبحيرات الياقوت وبرَك الزُّمُرُّد حِيال عرش الغروب

وغشت الأرض كآبة ربْداء

وغشَت عينيك كآبة ربداء

أيّ شمس تغيب فيك، أيّتها الفتاة، ولماذا يُشجيك المساء

لتغشى عينيك هذه الكآبة الربداء؟

ألا احرصي على قلبك أيتها الفتاة

***

تجلّت الشمس في الأوج تحت رواق الفلك

والأشعة تغازل الأزهار وتُوسّع المياه عناقا وتلوينا

والمنازل تسطع كحجارة كبيرة من نور

وانتعشت جميع الأشياء انتعاش من خرج من أزمة وانفرج

أما انت فتلوبين جائعة عطشى

تقولين ما لا يجب ألاّ يقال وتفعلين ما لا يجب ألاّ يفعل

ثم تأسفين على القول والفعل وتعودين تلوبين

ووراء الملل والسآمة وهيجٌ فيك واحتدام

أخبريني ما بك أيّتها الفتاة؟

لماذا أراك عند نافذتي ترقبين ما ليس بالموجود وتشتافين ما ليس بالبادي؟

وإذا تحولتُ عنك إلى مرآتي رأيتُ هناك وجهك مفجعا حزينا؟

أهو أمل غزا نفسك فثقل على فؤادٍ منك اعتاد القنوط؟

أم قرب تهليل الأمل يأس ينتحب وشعور بالفشل طالما خالط الرجاء؟

وأنت أيُّ علّة تضنيك فتلوبين وتتأوهين؟

ألا احرصي على قلبك أيتها الفتاة

***

جاء المساء مرة أخرى، جاء المساء وتبعه الليل

وعيناك قرب السّراج جامدتان جمود من يتأمل جثة

فأشعر بان شيئا فيك أمسى جثة

لقد استسلمت لجمال المساء فطعنك المساء بسكين منه سريّ يقطر دما وظلاما

أخضعت نفسك لسحر الغروب ولم تحرصي على قلبك

أما الآن وقد فرطت به فاحرصي على الجرح المنفتح فيه

احرصي

مصطفى صادق الرافعي: من أبرز الأدباء في الكتابة الأدبية شعرا كانت أم نثرا، ولم يخرج في تميّزه هذا عن فن الرسائل، حيث كتب في شتى أنواع الرسائل، الديوانية بحكم طبيعة وظيفته في المحاكم الشرعية والأهلية، والإخوانية بحكم علاقاته الاجتماعية والأخوية الكبيرة، أما الأدبية فقد وصل فيها إلى قمّة الابداع والتّميّز. أما الرسائل التي كتبها معبّرا عن حبّه والتي يرى الدّارسون أن المعنيّة بها هي الاديبة المتألقة

مي زيادة، معبّرا عن مشاعره اتّجاها، جعلها في ثلاثة كتب (رسائل الأحزان/ السحاب الأحمر/ أوراق الورد).

-رسائل غسان كنفاني موجهة إلى غادة السّمان عام 1993م.

-رسائل جبران ومي، حيث تبادلا الرسائل لأكثر من عشرين عام دون أن يتقابلا. نشرت بعض أعمالهم 1948م في مجلة أكتوبر بعنوان "الشعلة الزرقاء".

مراجع المحاضرة:

*مي زيادة، سوانح فتاة، مؤسسة نوفل، القاهرة-مصر، 1989.

*محمد عبد المنعم خفاجي، الآداب العربية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، ط1، بيروت-لبنان، 1992.

*محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه.